

آفاق الحرب المكشوفة بين ترامب والجهزة الاستخباراتية

Think Tanks Monitor 2017-01-16

برزت معالم مواجهة بين الرئيس المنتخب دونالد ترامب الجهزة الأمنية الاميركية وتصاعدت حدتها عقب "ظهور" تقرير في وسائل الاعلام يزعم ان ترامب قد تم تجنيده من قبل روسيا والتي لديها معلومات محرجة جدا حول مسلكه قد توظفها في ابتزازها. ترامب بدورها سارع الى اتهام مسلك مراكز قوى الجهزة الأمنية "بالمشين".

تضارب الرواية مع السردية العامة وعزوف الجهزة تقديم الادلة الحسية أسهم مباشرة في وأدها واعتبارها خدعة، مما دعا كبريات الصحف الى رفض نشرها، خاصة صحيفتي نيويورك تايمز وواشنطن بوست، نظرا لعدم صمود الرواية امام الحقائق. اما شبكة سي ان ان الاخبارية التي روجت للرواية على شاشاتها فقد نالت ازدراء المراقبين واتهام ترامب لها بأنها مختصة بتلفيق الاكاذيب.

اخطبوط الوكالة المركزية

يعتقد ان مصدر الرواية الكاذبة اما احد او بعض الجهزة الاستخباراتية، مما سيعرضها لردات فعل ربما قاسية من الرئيس المقبل، وتوفر له مبررات ومنصة انطلاق لاتخاذ اجراءات "اصلاحية" في عمل الجهزة كافة غلب عليها البعد السياسي وربما الانتقامي.

العارفون بخبايا عمل الجهزة الاستخباراتية يعتبرون انها بمجموعها تعاني من عقدة نقص "المهمة المستحيلة"، تيمنا بالمسلسل التلفزيوني الشهير بذات الاسم في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم. ركز المسلسل على تكليف ضباط الاستخبارات القيام بمهام استخباراتية معقدة وانجازها بالكامل. وعليه، ترسخت مفاهيم عامة ان تلك الجهزة "معصومة عن الخطأ".

لا يجادل أحد في القدرة والامكانيات المتطورة الضخمة المتوفرة لتلك الجهزة، تفاصيلها محاطة بجدار سميك من السرية، احسنت توظيفها بكفاءة تحسد عليها، لا سيما في مجالات الاقمار

الاصطناعية التجسسية واعتراض الاتصالات بكافة تنوعاتها، واسترداد غواصة نووية روسية من اعماق المحيط الهادئ. بيد ان مجمل السجل لا يخلو من اخفاقات بليغة امتدت لعقود عدة.

واجهت وكالة الاستخبارات المركزية، السي آي ايه، تحديدا سلسلة من الفشل الاستخباراتي منذ نشوئها كانت بالنسبة لها "فضيحة بجلاجل". ابرزها عملية العدوان على كوبا الفتية بعملية خليج الخنازير، محاولات متواصلة فاشلة لاغتيال الرئيس الكوبي فيدل كاسترو، تخبط الوكالة في حرب فيتنام، فشلها في عدم التنبؤ بالدخول العسكري السوفياتي لأفغانستان، الفشل المميز في عدم صوابية رؤيتها لمصير شاه ايران والاطاحة به، قصف معمل الادوية في السودان، ما ينسب لها من فشل في اعتراض هجمات ايلول 2001، المعلومات الملفقة لما اسمته اسلحة الدمار الشامل في العراق، وفشلها ايضا في بؤس تحليلاتها التي ادت لسوء تقديرها في نجاح تنظيم داعش.

تراكم الفشل ادى بالقائمين على الوكالة الى استحداث مزيد من العمل البيروقراطي أبرزه انشاء منصب مدير للأمن الوطني عقب هجمات ايلول 2001؛ الأمر الذي يمكن تعداد فوائده على آليات العمل الاستخباراتي بمشقة كبيرة.

يشار الى ان الرئيس الاسبق ريتشارد نيكسون أدرك مبكرا ضرورة ادخال اصلاحات على عمل الوكالة، دون تحقيق اي تقدم ملموس؛ كما ان الرئيس جيمي كارتر ايضا كرر المحاولة، كليهما لخدمة الاجندة السياسية للرئيس. مدير الوكالة ايان عهد الرئيس كارتر، ستانسفيلد تيرنر، اتى به كارتر من صفوف البحرية وكان برتبة ادميرال، حدد مكامن الضعف في مديرية التجسس وسعى لتشيبيها بإلغاء نحو 820 وظيفة في صيف عام 1977. لم يدم له البقاء طويلا لاختبار نجاعة اسلوب معالجته.

من ابرز "الغاز" الوكالة اختفاء ووفاة مديرها الاسبق ويليام كولبي، 27 نيسان 1997، في حادث بحري غامض بالقرب من منزله الصيفي على شاطئ جزيرة "كوب" جنوبي العاصمة واشنطن بعد 9 أيام على غيابه. ترأس كولبي مديرية السي آي ايه لسنتين فقط، 1973 - 1975، حين اقبل من منصبه. خلال تلك الفترة الوجيهة، مثل امام لجان متعددة في الكونغرس "56 مرة"، تميزت شهاداته بإجابات واضحة مباشرة "مما اغضب طواقم الاستخبارات الذين اعتبروا مهمته المركزية هي الكذب والرياء على الكونغرس."

تلقي كولبي أمر اقالته مباشرة من مستشار الأمن القومي الاسبق هنري كيسنجر، ابان عهد الرئيس جيرالد فورد، اللذين تملكهما الغضب لصراحة كولبي ونزعه الغطاء عن "جواهر المؤسسة الاستخباراتية"، لا سيما مسؤوليتها عن الاغتيالات وسبل اخرى لا تقل دناءة وخسة. كولبي ايضا اقال عدد كبير من مسؤولي وموظفي الوكالة في اقسامها المختلفة، مما وضعه نصب الاعين المتربصة. لليوم، السبب الرسمي لوفاة هو حادث غرق - وهو السباح الماهر.

في مواجهة مؤسسة عريقة لها تاريخ طويل من النفوذ وشراء الذمم، والتخلص من اي شخص مهما علت مكانته، هل يستطيع الرئيس المقبل ترامب تحقيق اي انجازات تذكر. السؤال يتكرر على السنة الاجهزة الرسمية والمراقبين على السواء.

كلف ترامب فريقه لشؤون الأمن الوطني اعداد تقرير مفصل يحدد آليات يمكن تطبيقها "لتطوير" عمل الاجهزة، بما فيها تهديدات القرصنة وسبل مواجهتها، وتقديمه خلال 90 يوما من تسلمه مهامه الرسمية.

الشائع عن ترامب انه يغفل أهمية عمل اجهزة الاستخبارات وتطبيقاتها. بيد ان حقيقة الأمر تكمن في "نجاحات" ترامب العملية التي لا يمكن تحقيقها بهذه الشمولية والتوسع الدولي دون توظيف فعال لجمع معلومات استخباراتية واتخاذ سبل حماية مناسبة، أسوة بالشركات الكبيرة واصحاب الثروة: معاملاته اليومية مع الشركات متعددة الجنسيات: التعرف بدقة على سوق العقارات وما سيعرض منها للبيع بغية الاستثمار، وما يرافقه من مفاوضات تخص القيمة الشرائية والترتيبات الاخرى، فضلا عن ردود افعال السلطات المحلية، البلدية وما فوق، لأي مشروع يقدم عليه.

يطلق على المهام آنفة الذكر "الاستخبارات العملية"، التي ينبغي ان تتحلى بالدقة والموضوعية كي يتم تسخيرها بفعالية تعود بالفائدة القصوى على اصحابها.

الاطلالة على كيفية استفادة ترامب او تسخيرها لتلك المعلومات تؤشر على نواياها المستقبلية لتوظيفها والاستفادة منها في القريب المرئي، ودلالة على نواياها لإجراءات اصلاحية.

نظرة سريعة على خلفية طاقم ترامب لشؤون الأمن القومي تفيد انه بمعظمه لديه خبرة عسكرية اضافة لمدير شركة اكسون العملاقة، والذين بمجموعهم كانوا يتلقون "استخبارات عملية".

على الطرف المقابل، الخلفية السياسية الصرفة لطاقم البيت الابيض بمن فيهم الرئيس اوباما نفسه يجد ارتياحا اوفر في معلومات استخباراتية بأبعاد سياسية وتسخيرها لخدمة اغراض سياسية مباشرة. الأمر الذي نتج عنه تلك التقارير الاستخباراتية التي عومت مقولة اسلحة الدمار الشامل، ابان عهد الرئيس السابق جورج بوش الابن، وما رافقها من غزو واحتلال كارثي للعراق - والدول الاقليمية الاخرى المرشحة مباشرة حسبما افادت تلك التقارير والافادات لاحقا.

شهدت ولاية الرئيس اوباما اتهامات متعددة لتلاعبها بتقارير الاجهزة الاستخباراتية "وحجب" التقارير التي لا تؤيد رؤاها وسياساتها الخاصة بتنظيم داعش، والتي جاءت على نقيض مباشر لسردية ادارة الرئيس اوباما الرسمية. سردية تشبثت بإبراز "نجاح سياستها حول سوريا"، خلافا للتقارير الميدانية والتحقيقات الاعلامية ايضا.

اصرار ترامب وحماس فريقه لتملك زمام القرار بإدخال اصلاحات على الاجهزة الاستخباراتية يقود المرء الى حملة مواجهة وتغييرات، ربما بوتيرة سريعة، لتحقيق مقاصده في توفير معلومات ذات فائدة عملية.

بعض الاصلاحات المرئية

نوايا اجراءات الاصلاح تشمل مروحة واسعة من تعديل على سعد الاجراءات البيروقراطية وتعزيز مفاهيم نواة انشاء الاجهزة الاستخباراتية، جمع المعلومات وتنقيحها، والتصدي للتسريبات عبر الوسائل الاعلامية بمختلف توجهاتها، الخ.

اصلاحات سياسية

تجاوزت الاجهزة الاستخباراتية مهامها الاولية بدخولها ميدان الحلبة السياسية واستحداث مراكز

ومناصب جديدة، نالت آيات الثناء والرضى على انجازاتها المتصورة. بالمقابل تم استبعاد المهنيين من الطواقم المتعددة الذين يميلون لتوفير معلومات خضعت للتدقيق والفحص، بعضهم فضل الاحالة المبكرة على المعاش.

من الجائز ان يضخ ترامب دماءً جديدة في تلك الاجهزة، تحت بند التعيينات السياسية، مما سيضع الشرائح القيادية العليا الراهنة في عين العاصفة للتدقيق في نوعية ووجهة التقارير الاستخباراتية السابقة.

من خصائص ترامب، وامتدادا لفريقه المتشدد، ميله لعدم التسامح وسرعة الرد وجاهزيته لاقالة من هم في المراتب الادنى واصحاب الاداء المتدني عن المعايير الموصوفة. وعليه، يمكن القول ان اولئك اصحاب التقارير السابقة والمشكوك في دقتها قد يخضعون للمساءلة تفرض عليهم الدفاع عن مجمل ادائهم، وما سينجم عنها من تهميش او اقالة مرتقبة.

تداخل المهام العسكرية والاستخباراتية

توجهات ادارة الرئيس اوباما الخارجية اوجدت مجالات متقاربة لعمل الاجهزة الاستخباراتية والعسكرية، ويمكن القول ان العمل الاستخباراتي خضع لتوجيهات القيادات العسكرية في البنتاغون، مما ساعدها بشن سلسلة حروب فضل البيت الابيض بقاءها بعيدة عن أعين الاعلام. واوكلت مهام حرب الطائرات المُسيّرة للاستخبارات المركزية بالتنسيق مع وحدات القوات الخاصة لفرض حقائق ميدانية.

عانت تلك العمليات من اوجه قصور ذاتية متعددة، منها ان القوات الخاصة اثقلت بتنفيذ مهام ساهمت في استنزاف سريع لإمكانياتها البشرية خاصة لقرب نهاية الخدمة الفعلية على صعيد ضباط الصف تحديدا، ويتهيأون لدخول الحياة المدنية.

ترامب وفريقه سيعتمدون بشكل شبه كامل على المد البشري المدرب من صفوف البنتاغون، وتوفير اقصى ما تحتاجه القيادات العسكرية من امدادات قد تتباين مع بنود للميزانيات المخصصة.

تقارير استخباراتية عملياتية

ندد ترامب منذ بدء صعوده على الساحة السياسية بالتقارير الاستخباراتية اليومية المقدمة، التي يعتبرها حيكت لخدمة اجندات سياسية وهدر للوقت، الأمر الذي دفع به الى تفادي اللقاء اليومي مع ضباط الاستخبارات؛ وفعل الامر عينه الرئيس اوباما في بعض الاحيان.

ترامب ايضا لا يتحلى بميزة الاصغاء بعمق للآخر، ووضح مرارا ان تلك التقارير لا توفر له معلومات لم يطلع عليها مسبقا في معظم الاحيان. كما ان بعض اعضاء فريقه لا يخفي امتعاضه من المعلومات الاستخباراتية "غير المفيدة"، وسيسارعون لتوضيح احتياجاتهم من اطقم الاستخبارات.

لن يدخر ترامب جهدا لتوضيح نواياه من التقارير الاستخباراتية وضرورة تفادي نزعة اتساقها مع الرغبات الذاتية والتركيز على حقيقة ما يحتاجه.

الاعلام نقيض ترامب

تسريب المعلومات بكافة انواعها لوسائل الاعلام هي قضية مرحب بها جماهيريا وتمقتها الاجهزة والقيادات الرسمية بشكل عام. معظم الادارات الاميركية عانت وتعاني من اكتشاف الشعب لحقيقة نواياها وخطابها في الاروقة الخاصة، ولم تسلم منها ادارة اوباما التي تعد من اشد الادارات قمعا للحريات الصحافية بأساليب متطورة وخداعية. مثلا، رحلت الادارة ما لا يقل عن 2 مليون "مهاجر فاقد للاثباتات الرسمية" مما يفوق ما فعلته ادارة سلفه جورج بوش الابن - المحافظة والمتشددة.

ترامب بطبيعته كثير الشك بمقربيه ولا يثق الا بنفسه؛ ويحظى بكرهية كبيرة بين الاجهزة الاستخباراتية بمجملها. وسعى ترامب الى "ابتزازها" مؤخرا على خلفية سلوكه المنسوب له اعلاميا، بالاعلان في مؤتمره الصحفي الاول، قبل بضعة ايام، بأنه اخفى عمدا بعض المعلومات الناجمة عن لقاءه بقيادة الاجهزة عن مستشاريه ليتبين لاحقا انها اوضحت متداولة في الاعلام. الاستنتاج الطبيعي ان المسؤول عن التسريب هو من داخل الاجهزة الأمنية، ليس الا.

تفاقت المواجهة بين ترامب والاجهزة الاستخباراتية عقب تداول وسائل الاعلام تقارير ثبت خطأها حول العلاقات المتينة التي تربط ترامب بروسيا. المواجهة اتخذت منحاً خطيرا بين الطرفين وعلان ترامب ان "بعض الاشخاص" يغامرون بالنيل من مصداقية الولايات المتحدة واجهزتها بغية الحاق الضرر بالرئيس المنتخب.

من المرئي تصميم ترامب وفريقه للأمن الوطني على تحديد حلقة التسريب ومن وراءها، واتخاذ التدابير المناسبة ضد افرادها؛ مما يبشر بصراع سياسي مكشوف قريب.

براءة ترامب

تصميم ترامب على الذهاب في مواجهة مع اخطبوط الاجهزة الأمنية، ونظرا لفقدانها الدليل المادي القادر على اقناع الجمهور بتبعية ترامب لروسيا، ادى بإطاحة سريعة لتلك السردية واضطرار بعض الوسائل الاعلامية الى عدم الترويج لها، وبعضها الآخر لزم الاعتذار.

واوضحت شبكة ان بي سي للتلفزة، فيما يخص الملف الخاص بترامب بين ايدي روسيا، بأن "مسؤول استخباراتي رفيع اوضح انه الرئيس المنتخب لم يتم اطلاعه على المعلومات المضافة للملف، التي تم اعدادها كجزء من جهود الحزب الجمهوري المناهض لترامب."

وأردف المسؤول الرفيع ان اللقاء مع ترامب واطلاعه على المعلومات تم بطريقة شفوية ولم يتم تبادل اي وثائق او ملفات سلمت للرئيس المنتخب. الأمر الذي يناقض كليا رواية الاجهزة قبل ساعات معدودة من "فضح" ترامب للاسلوب الرخيص للنيل منه.

بل أكد المسؤول في روايته للشبكة ان "مسؤولي الأمن والاجزة الاستخباراتية وافقوا على ان كافة جهود التحقيق لم تتوصل لنتيجة قاطعة او مباشرة للربط بين ترامب والحكومة الروسية، مطلقا."

ما بين ما دلت عليه تلك المواجهة ميل الاجهزة الاعلامية بشموليتها نشر معلومات ملفقة، حول ترامب، وامتدادا لكل ما يتعارض مع توجهات السياسة الاميركية. النتيجة المنطقية التي توصل اليها

العامّة هو تمّين حرصها على عدم التسليم بصدقية ما ينشر دون فحص وتدقيق.

* نشرة التقرير الأسبوعي لمراكز الابحاث الأميركية

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية